الفصل الرابع

اللحـــــن

١- عناية أئمة القراءة باللحن

اهتم أئمة هذا الفن بالكلام عن اللحن وأقسامه، وإبراز اللحن المتوقع عند تلاوة القرآن الكريم كي ينتبه القارئ إلى الموطن الذي يمكن أن يلحن فيه، فيجتنبه، ونظرًا لتغير اللهجات على مر الزمان فقد انبرى الكثير منهم لتوضيح اللحن حسب ما لاحظوه من تأثير اللهجات.

وقلما نجد كتابًا من الكتب المعاصرة والحديثة إلا وتجد فيه ذكرًا لهذا الباب، وإن دل ذلك فإنما يدل على أهمية مدارسة هذا الفن.

فمن ذلك قول الخاقاني في قصيدته:

فأول علم الذكر إتقان حفظه ... ومعرفة باللحن من فيك إذ يجري

فكن عارفًا باللحن كيما تزيله ... وما للذي لا يعرف اللحن من عذر

وقال الإمام السخاوي في نونيته:

رتل ولا تسرف وأتقن واجتنب ... نُكرًا يجيئُ به ذووالألحانِ

وقال ابن الجزري في باب التحذيرات:

فَرَقِّقَنْ مُسْتَفِلًا مِنْ أَحْرُفِ ... وَحَاذِرَن تَفْخِيمَ لَفْظِ الأَلِفِ

كَهَمزِ ألْحَمْدِ أَعُوذُ اِهْدِنَا ... اللهِ ثُمَّ لامِ لِلّٰهِ لَنَا

ومن ذلك الإمام أبو عمرو الداني في «التحديد» والإمامُ مَكِّي بن أبي طالب في «الرعاية»، والعلامةُ الصفاقيسي في «تنبيه الغافلين» وغيرهم [١].

(١) ينظر «النشر» لابن الجزري، وكذلك كتاب «التمهيد في علم التجويد»، وجمال القراء للسخاوي، وقصيدة الخاقاني.

٢- أقسام اللحن وحكمه

اللحن لغة: الخطأ والميل عن الصواب.

أقسامه:

١- اللحن الجلي. ٢- اللحن الخفي.

القسم الأول- اللحن الجلي:

تعريفه: هو خطأ يطرأ على اللفظ، فيخل بعرف القراءة سواء أخل بالمعنى أم لم يخل.

سبب تسميته: سمي جليًّا لأنه يخل إخلالًا ظاهرًا يشترك في معرفته علماء القراءة وغيرهم.

وجوده: في الحروف والحركات والسكنات

أولًا- وجوده في الحروف:

١- **حذف حرف:** كحذف الهمزة من «دفء».

٢- **زيادة حرف:** كزيادة فاء في ﴿إِذَا﴾ [البقرة:١٤٥] فتقرأ «فإذا».

٣- **استبدال حرف:** كاستبدال التاء طاء في ﴿ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء:٣٥].

مثال ما يغير المعنى استبدال الثاء سينًا في: ﴿يَلْبَثُونَ﴾ [الإسراء:٧٦] فيصير المعنى يلبسون، والمعنى الأصلي: يمكثون.

مثال ما لا يغير المعنى استبدال الذال زايًا نحو: ﴿ٱلَّذِى﴾ [البقرة:٢١].

أثر استبدال الحروف على المعنى(١)

تحويل	إلى	التباس	المعنى	بكلمة	المعنى
السين	صاد	وَأَسَرُّوا	من الإسرار	وَأَصَرُّوا	من الإصرار
الضاد	ظاء	نَاضِرَةٌ	فرِحة	نَاظِرَةٌ	من النظر
الضاد	ظاء	ضل	من الضلال	ظل	مكث
التاء	طاء	يَقْنُتْ	يدعو	يَقْنَطُ	ييأس
الذال	ظاء	مَحْذُورًا	ضد الأمان	مَحْظُورًا	ممنوعًا
الذال	ظاء	الْمُنْذَرِينَ	من الإنذار	الْمُنْظَرِينَ	المؤخرين
الكاف	قاف	مَرْكُومٌ	متراكم	مَرْقُومٌ	مكتوب
الثاء	السين	يَلبثون	يمكثون	يَلبَسُون	يرتدون

وعلاج لحن الحروف يكون بمعرفة مخارج الحروف وصفاتها والتلقي.

ثانيًا ـ وجوده في الحركات:

١- تحريك الساكن. ٢- تسكين المتحرك. ٣- إشباع الحركة.

٤- تخفيف المشدد. ٥- تشديد المخفف.

مثال ما يغير المعنى: جر الكاف من قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] وهذا يحول المعنى من المخاطب إلى المخاطبة.

ومثال ما لا يغير المعنى: رفع الهاء في ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ١].

أثر استبدال الحركات على المعنى:

- ﴿يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:٢٠] بضم التاء، يسأمون، وبفتحها: يكذبون.
- ﴿ضَعْفِ﴾ [الروم:٥٤]: بالفتح، «الهرم» وبالكسر: الزيادة.
- ﴿أَتَوْا﴾ [آل عمران:١٨٨]: جاؤوا، وآتَوْا: من الإيتاء وهو العطاء.

---

(١) انظر «زاد المقرئين» رسالة البيان في معرفة اللحون: (جـ١ ص [١١٢]).

- ﴿إِيمَٰنِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٠] بكسر الهمزة العقيدة أو الدين، وبفتحها العهد.
- ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ [الحديد: ١٨]: بفتح الصاد التصديق، وبالتشديد التصدُّق.
- ﴿أَلْقُوا۟﴾ [الأعراف: ١١٦] بفتح القاف، فعل ماض، وبضم القاف، فعل أمر.

وعلاج لحن الحركات بالتلقي، والتمكن من معرفة اللغة العربية.

حكم اللحن الجلي: لا شك أنه حرام بالإجماع، سواء أخل بالمعنى أم لم يخل لأنه تحريف في كتاب الله تعالى.

قال الشيخ محمود الحصري: وهذا النوع حرام باتفاق المسلمين معاقب عليه فاعله إن تعمده، فإن فعله ناسيًا أو جاهلًا فلا حرمة(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: لا ينبغي لطلبة العلم الصلاة خلف من لا يقيم الفاتحة، ويقع في اللحن الجلي بحيث يغير حرفًا أو حركة، أما من يخطئ فيما يعتبر من اللحن الخفي، ويمكن أن تتضمنه القراءات الأخرى، ويكون له وجه فيها؛ فإنه لا تبطل صلاته ولا صلاة المؤتم به كمن قرأ ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ [الفاتحة: ٦] بالسين فإنها قراءة متواترة(٢).

(١) «أحكام قراءة القرآن» ص [٣٥]، و«هداية القاري] ص [٥٤].

(٢) «مجموع الفتاوى» (جـ٢٢ ص [٤٣٣])، (جـ ٢٣ ص [٣٥٠])، و«قواعد التجويد» ص [٣٦].

صور اللحن الجلي

أولًا- في الحروف:

١- الخلط بين الحروف المشتركة مخرجًا كخلط السين بالصاد، نحو: ﴿ سَيَصْلَىٰ ﴾ [الكافرون: ١] فيجب تخليص السين من الصاد(١).

٢- الخلط بين الحروف المتقاربة مخرجًا كخلط القاف بالكاف، نحو: ﴿ خَلَقَكَ ﴾ [الانفطار: ٧] فيجب تخليص القاف من الكاف(٢).

٣- حذف الحرف المتطرف الموقوف عليه نحو: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴾ [القارعة: ٣].

٤- زيادة حرف بعد الهمزة عند الوقف عليها نحو: ﴿ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة: ١٩] وهذا الحرف هو الهاء بسبب خروج نفس بعد نطق الهمزة.

٥- حذف حرف المد الطبيعي عمومًا لأنه أصل في الكلمة، وقد يؤدي حذفه في بعض الأحوال إلى إخلال شديد بالمعنى.

كحذف المد في حرف (لا) من قوله: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾ [لقمان: ١٣] فإن المعنى يقلب من النهي عن الشرك، إلى التأكيد، والعياذ بالله(٣).

ثانيًا- في الحركات:

ينبغي الحذر من:

١- كسر المضموم إذا ابتدئ به كما في: ﴿ وُسْعَهَآ ﴾ [الأعراف: ٤٢].

﴿ وُجْدِكُمْ ﴾ [الطلاق: ٦] ﴿ بُطُونِ ﴾ [الأنعام: ١٣٩].

---

(١) وكالتفريق بين السين والزاي، والتاء والطاء، والتاء والدال، والذال والظاء، والغين والخاء، ويتأكد البيان إذا تجاور الحرفان.

(٢) وكالتفريق بين الضاد والدال، والضاد والتاء، والضاد والطاء، والسين والذال، والسين والثاء، والضاد والظاء، ويتأكد البيان إذا تجاور الحرفان.

(٣) لمزيد من الأمثلة والشواهد راجع «زاد المقرئين» رسالة البيان في معرفة اللحون (جـ١ ص [١٥٥]).

٢- تسكين المضموم إذا توالت ضمتان، كما في ﴿هُزُوًا﴾ [الجاثية:٣٥].

﴿ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة:٩] ﴿ظُفُرٍ﴾ [الأنعام:١٤٦] ﴿كُفُوًا﴾ [الإخلاص:٤].

٣- تسكين المكسور إذا جاء بعده ياء، لقوة الياء وضعف الكسرة كما في: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤].

٤- تسكين المضموم إذا جاءت ضمة بعدها واو، لقوة الواو وضعف الضمة كما في: ﴿نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ﴾ [الفاتحة:٥].

٥- تسكين لام التعليل نحو: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟﴾ [البقرة:١٨٢].

٦- كسر لام الأمر، نحو: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟﴾ [الحج:٢٩].

٧- الإفراط في تحقيق الكسرة لئلا يتولد عن ذلك ياء لاسيما إذا جاء بعد الكسرة ياء متحركة نحو: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤].

٨- الإفراط في تحقيق الضمة لئلا يتولد عن ذلك واو، لاسيما إذا جاء بعد الضمة واو متحركة نحو: ﴿نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ﴾ [الفاتحة:٥][(١)].

القسم الثاني- اللحن الخفي:

تعريفه: خطأ يطرأ على اللفظ، فيخل بعرف القراءة، ولا يخل بالمعنى.

تسميته خفيًّا: لأنه يختص بمعرفته علماء القراء وغيرهم من أهل الأداء.

أقسامه:

القسم الأول- ما يعرفه علماء القراءة نحو:

---

(١) لمزيد من الأمثلة انظر: «زاد المقرئين أثناء تلاوة الكتاب المبين»، رسالة البيان (جـ١ ص [١٦٦]).

ترك الغنة، أو الإظهار، أو الإدغام، أو الإخفاء أوالإقلاب.

أو إنقاص مدٍ بحيث لا يترتب على إنقاصه حذفه، فيصير اللحن جليًّا.

أو ترك صفة بحيث لا يترتب على تركها استبدال حرف بحرف.

حكمه: فيه خلاف بين العلماء، فالبعض يرى أنه مكروه، لا يترتب عليه العقاب الشديد،وإنما فيه خوف العتاب والتهديد.

والبعض الآخر: يرى أنه حرام(١).

القسم الثاني- لا يعرفه إلا مهرة القراء، كتكرير الراءات وتطنين النونات، وتغليظ اللامات وتشويبها بالغنة، وترعيد الصوت بالمدود والغنات، أو ترك صفة بحيث لا يؤدي ذلك إلى استبدال حرف.

حكمه: فيه خلاف بين العلماء، فالبعض يرى أنه مكروه، والبعض الآخر يرى أنه حرام لأن هذه التغيرات جميعها وإن كانت لا تخل بالمبنى والمعنى، لكنها تخل باللفظ لفساد رونقه، وذهاب حسنه وطلاوته، وتؤدي إلى العشوائية والتلاعب بكتاب الله والتخبط والتقليد بدون ضابط.

قال العلامة السمنودي:

واللحن قسمان جلي وخفي ... كل حرام مع خلاف في الخفي

وقال العلامة ابن الجزري في مقدمته:

والأخذ بالتجويد حتم لازم ... من لم يجود القرآن آثم

لأنه به الإله أنزلا ... وهكذا منه إلينا وصلا

---

(١) «جهد المقل» ص [١٨-١٩]، و«نهاية القول المفيد»، ص [٢٤]، و«هداية القاري» ص [٥٤-٥٧].

قال العلامة ناصر الدين الطبلاوي: إن ذلك ممتنع بالشرع -يقصد اللحن الخفي- وليس للقياس فيه مدخل بل محض اتباع(١).

وقال المرصفي: وما ذكر من أدلة على تحريم الخفي بنوعيه هو الصواب(٢).

وقال الشيخ عطية قابل: وحكم هذا القسم - يقصد اللحن الخفي - التحريم على الراجح إن تعمده أو تساهل فيه، وقيل بالكراهة(٣).

معرفة اللحن:

قال العلامة المرعشي: اللحن يُعرف بعضه بـ:

١- **الاطلاع على علم التجويد:** وهو الخطأ في المبنى والصفات.

٢- **وبعضه بالاطلاع على علم النحو:** وهو الخطأ في حركات الأواخر وسكونها.

٣- **وبعضه بالاطلاع على علم الصرف:** وهو الخطأ في الإعلال مثل القلب والحذف والنقل(٤).

من صور اللحن الخفي

أولًا- في الحروف:

١- الحذر من تمطيط الحروف التي تقبل جريان الصوت، أو بعضه.

كـ «اللام» في ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ [الفاتحة:٢]، و«النون» في ﴿أَنۡعَمۡتَ﴾ [الفاتحة:٢]، و«العين» في ﴿يَدُعُّ﴾ [الماعون:٢].

(١) «نهاية القول المفيد» ص [٢٥].

(٢) «هداية القاري» (جـ١ ص [٥٧]).

(٣) «غاية المريد في علم التجويد» ص [٤٢].

(٤) كتاب «جهد المقل» ص [٢٠].

٢- الحذر من خلط اللام والهاء بالغنة:

مثال «اللام»، نحو: ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ [الفَاتِحَة:٢] ومثال الهاء، نحو: ﴿ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة:٧].

٣- الحذر من خلط حروف المد بالغنة لاسيما إذا سبقت بحرف أغن:

مثال «النون»، نحو: ﴿نَاصِيَةٖ﴾ [العَلَق:١٦] والميم، نحو: ﴿مَٰلِكِ﴾ [الفَاتِحَة:٤].

٤- الحذر من السكت على الساكن أو المشدد:

كالنون في: ﴿أَنۡعَمۡتَ﴾ [الفَاتِحَة:٢]، وكاللام في: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ [البَقَرَة:٣].

٥- الحذر من الترجيع: وهو تمويج الصوت لاسيما في المدود، كرفع الصوت ثم خفضه في المد الواحد. كما في ﴿نَصۡرُ﴾ [النَّصر:١].

٦- الحذر من التطريب: وهو مراعاة الصوت من غير نظر إلى أحكامه.

٧- الحذر من القراءة بالتحزين: وهو أن يترك القارئ طبعه وعادته في القراءة، ويقرأ وكأنه حزين يكاد يبكي من الخشوع رياء، أما إن كان طبعه هكذا فحسن.

٨- الحذر من الترعيد في القراءة: وهو أن يأتي القارئ بصوت كأنه يرعد من شدة البرد أو ألم أصابه.

ثانيًا- في الحركات:

١- الحذر من قلقلة الساكن فقد يؤدي إلى تحريكه:

كالنون في: ﴿أَنۡعَمۡتَ﴾ [الفَاتِحَة:٢].

وكاللام في: ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ [الفَاتِحَة:٢].

وكالغين في: ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ﴾ [الفَاتِحَة:٧].

٢- الحذر من إمالة الكسرة إلى الفتحة لاسيما إذا جاء بعدها ساكن.

مثال: كسر الهمزة في: ﴿ ٱهۡدِنَا ﴾ [الفَاتِحَة:٦].

٣- الحذر من إمالة الضمة إلى الفتحة لاسيما إذا جاء بعدها ساكن، كالهاء في: ﴿ هُمۡ فِيهَا ﴾. [البَقَرَة:٣٩]

٤- الحذر من الترقيص: أي ينفر في عدو وهرولة كالراقص.

مثال ذلك: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ ﴾ [الفَاتِحَة:٢][(١)].

٥- الحذر من النبر الزائد مبالغة في تحقيق الحركة لما يترتب عليه من تعسف، واضراب في أصول الكلمات، واعوجاج، وبعد عن فصاحة الكلمة، وسيأتي الكلام عن ذلك بمشيئة الله تعالى عند الكلام عن التعسف وأثره على القراءة.

(١) لمزيد من الأمثلة انظر كتابنا: «زاد المقرئين أثناء تلاوة الكتاب المبين»، رسالة البيان (جـ١ ص [١٧٠]).

٣- لحون لا تضبط إلا بالتلقي

قال الشيخُ محمودُ علي بسّه في كتابه العميد:

«للتلقِّي في تعَلُّمِ القرآن وأدائه أهميةٌ كبيرةٌ، فلا يَكفي تعَلُّمُهُ منَ المصاحفِ دون تلقيه من الحافظين له، لأَنَّ من الكلماتِ القرآنية ما يختلفُ الْقُرَّاء في أدائه مع اتحاد حروفه لفظًا ورسمًا، تبعًا لتفاوتهم في فَهْمِ معاني هذه الكلمات وأصولها، وما يتوافرُ لهم من حسن الذوق، وحَساسِيَة الأُذنِ، ومُراعَاة ذلك كلِّه عند إلقائِها، لدرجة أنَّ بعضَهم يُخطِئُ في أدائه بما يكاد يُخرجها عن معانيها المرادة منها لتساهُلِه، وعدمِ تحرِّيه النُطْقِ السَّليمَ، والَّذي لوْ وُفِّقَ إليه وعوَّدَ نفسه عليه، لدلَّ على حساسِية أذنه، وحسن ذَوْقِه وفَهْمِه لمعانيها» وذلك نحو: ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:٨٤] ﴿يَعِظُكُمُ﴾ [النور:١٧] ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ [القصص:٢٤] ﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة:٩] اهـ(١).

أقوال العلماء المعاصرين:

- حدثني فَضِيلَةُ الشَّيْخ العلامةُ أحمدُ الزَّياتِ: أنه ينبغي الانتباه لبعض الكلمات، كما في: «يَعِدُكُمُ» وذكر أن الاخْتِلاس هو الخطأ(٢).

- حدثني فَضِيلَة الشيخ رزق خليل حبه قال: أيضًا يخطئ من يجعلها من الأفل، مثال: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٰٔفِلِينَ﴾ [الأنعام ٧٦]، فإنه قد ضيع همز الاستفهام، الصَّحِيح.

- حدثني فَضِيلَةُ الشَّيْخ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ الحفيظ قال: من الناحية اللغوية والتلقي مشايخنا قالوا: «ءَالهتُهم» بإتمام الحركة غير «أَلهتهم» بالاختلاس، لأن فيها لُكنة في النطق، ودفع في الهاء من حيث لا يجوز الدفع، كما في كَلِمَة: «أَسْلِحَتَهُمْ، فَنَظِرَةٌ، وَنَرِثُهُ».

---

(١) كتاب «العميد» ص [١٠].

(٢) استمع إلى الشريط المسجل لقاء مع ثلة من أعلام القراء المعاصرين.

– حدثني فَضِيلَة الشيخ محمد عبد الحميد أبو رواش: بالنسبة إلى «فَتَرَى، وَتَرَى، فَقَعُوا»، كل هذه الكلمات الاختلاس فيها يؤدي إلى فسادِ المعنى، هناك فرْقٌ كبيرٌ جدًا بينَ «وَتَرَى» من الرؤية والأخرى من الوتر، يجب أن يصحح.

– حدثني فَضِيلَة الشيخ عبد الرافع بن رضوان: قال الشيخ شحاذة السمنودي:

ومِـزْ مِـنَ الأشْـبَاهِ يُصْحَبُـونَ وَفَـقَـعُـوا، نَـظَـرَ، تُحْـصِـنُـونَ

وليحـذرْ مِـن تغييرِ النصِّ القـرآني فيغيرَ المعنى، مثال ذلك أيضًا «فَقَسَـتْ» فبعض الناس يقرأها «فَقَسَـتْ» هذا كلام خطأ، وهو لم يغير شكْلَةً، ولم ينقص حرفًا، ولكن هذا الأداء خطأ، فالأداء يحتاج إلى تدقيق.

– حدثنـي فَضِيلَـة الدُّكتُور عبـد العزيز القاري: قال: عندما كنت أقرأ على الشَّـيْخ عبد الرحمن القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان ينبِّهُ إلى مثل هذه الدقائق، ففي مرةً قرأ عنده أحدُ تلاميذِه ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحَدِيد: ١٦]. فقـال لـه الشـيخ: هي فراخ تفقس عـن بيض؟ اتكئ على القـاف وليس على الفاء، فمِثـلُ هذا تعتبرُ من درجاتِ الإتقان المطلوبـةِ من المتلقِّي، هذا مثل «فَجَعَلَهُمْ»، كثير ما ينطقونها (فجع لهم) كأنَّها من فجع يفجع.

– حدثنـي فَضِيلَة الشـيخ إبراهيم الأخضر: الضغطُ الزائـدُ في نطقِ الميم من قوله: «هُـمُ الْمُؤْمِنُـونَ» إخلال بتفعيلة الكَلِمَة ولم تكتمل الحـركات على كل الأحرف، وكذلك «لَـهُ مَـا» فمنهم من يقرأها (لهوما)، لأنه بهذا النطق غـير الصَّحِيح صارت الميم من كَلِمَة (لَهُ) كأنك جعلت الهاء والميم في كَلِمَة واحدة[1].

---

(١) استمع إلى سلسلة «زاد المقرئين الصوتية»، وانظر إلى المزيد من الأمثلة والشواهد وأقوال المشايخ في «زاد المقرئين» (جـ١ ص [١٧٦]).

٤- أثر التعسف والتكلف على الأداء

تعريفه: التكلف والتنطع يطلقان على المغالاة ومجاوزة الحد في القول والفعل.

أجمع المحققون والحذاق من أهل الإقراء المسندين على ترك التسعف والتكلف والتنطع أثناء القراءة، وقد يصل التكلف بالقارئ به إلى تحريف في كتاب الله تعالى كما سيأتي بيانه من الأمثلة بإذن الله تعالى.

قال الحافظ أبو عمرو الداني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فليسَ التجويدُ بتمضيغ اللِّسَان، ولا بتقعيرِ الفَمِ ولا بتعويج الفكّ، ولا بترعيد الصوتِ، ولا بتمطيط المشدد، ولا بتقطيع المَدِّ، ولا بتطنين الغُنَّات، ولا بحصرَمة الرَّاءات، قِراءةً تنفر منها الطِباعُ، وتمُجُّها القلوبُ والأسماعُ، بل القراءة السهلةُ، العذبةُ، الحلوة اللطيفة، التي لا مَضْغَ فيها، ولا لَوكَ ولا تعَسُّفَ، ولا تكلُّف، ولا تصنُّعَ، ولا تنطُّعَ، ولا تخرج عن طباعِ العرب، وكلامِ الفصحاء بوجْهٍ من وجوه القراءاتِ والأداء. اهـ[1].

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ الجزري: فالتجويد حلية التلاوة، وزينة القراءة، وهو إعطاءُ الحُرُوفِ حقوقها، وترتيبها مراتبها، وردُّ الحَرْف إلى مَخْرَجه وأصله، وإلحاقِه بنظيره، وتصحيحِ لفظه، وتلطيفِ النُطْق به على حالِ صيغته، وكمالِ هيئته، منْ غير إسراف، ولا تعسُّف، ولا إفراط ولا تكلُّف.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مُكَمَّلًا مِنْ غَيْرِ مَا تَكَلُّفِ ... بِاللُّطْفِ فِي النُّطْقِ بِلا تَعَسُّفِ

وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَرْكِهِ ... إِلا رِيَاضَةُ امْرِئٍ بِفَكِّهِ

---

(١) «النشر» (جـ١ ص [٢١١-٢١٢-٢١٣]).

أسبابه:

١- التعسف في شدة إخراج الحرف:

قَالَ الإِمَامُ مَكِّي بْنُ أَبِي طالبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يجب على القارئ أن يتوسَّطَ اللفظَ بها، ولا يتعسَّف في شِدَّة إخراجها إذا نَطَق بها، لكنْ يخرِجها بلطافةٍ ورِفْق، لأنها حرْفٌ بَعُد مَخْرَجه، فصَعُب اللفظُ بها لصعوبته. اهـ(١).

٢- النبر الشديد على الحرف:

قَالَ العَلامَةُ أبو الحسن الصفاقيسي عن أداء الهمزة: وقد كان العالمون بصناعةِ التجويد يَنْطِقُونَ بها سَلِسَةً، سهلةً برفْقٍ، بلا تعَسُّف، ولا تكلُّف، ولا نبرةٍ(٢) شديدةٍ.

ولا يتمكن أحدٌ من ذلك إلا بالرياضةِ، وتلقِّي ذلك من أفواه أهلِ العِلْم بالقراءة.اهـ(٣).

٣- الإفراط في نطق الحركة:

قال العلامة السخاوي:

يَا مَنْ يَرُومُ تِلاَوَةَ الْقُرْآنِ ... وَيَرُودُ شَأْوَ أَئِمَّةِ الإِتْقَانِ

لاَ تَحْسَبِ التَّجْوِيدَ مَداًّ مُفْرِطًا ... أَوْ مَدَّ مَا لاَ مَدَّ فِيهِ لِوَانِ

أَوْ أَنْ تُشَدِّدَ بَعْدَ مَدٍّ هَمْزَةً ... أَوْ أَنْ تَلُوكَ الْحَرْفَ كَالسَّكْرَانِ

أَوْ أَنْ تَفُوهَ بِهَمْزَةٍ مُتَهَوِّعًا ... فَيَفِرَّ سَامِعُهَا مِنَ الْغَثَيَانِ

لِلْحَرْفِ مِيزَانٌ فَلاَ تَكُ طَاغِيًا ... فِيهِ وَلاَ تَكُ مُخْسِرَ الْمِيزَانِ

---

(١) «الرعاية» ص [١٤٥].

(٢) النبْر عند العرب: ارتفاع الصوت، يقال: نَبَرَ الرجلُ نبْرَةً إذا تكلم بكلمة فيها عُلُوٌّ، «لسان العرب» (٥/ ١٨٨)، و«النبرة» رفع الصوت حين النطق بالكلمة وقد يكون بالاعتماد على حرف من حروفها وباختلاف موضع النبر من الكلمة تتميز اللهجات، «المعجم الوسيط» (٢/ ٨٩٧).

(٣) «تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين» ص [٤٧].

من صور التكلف في القراءة

أولًا- المبالغة في نبر الحروف، ومن صور ذلك:

١- تحويل دلالة الكلمة إلى المخاطبة، نحو: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأحزاب:٤٧] فالتعسف في نبر الشين ساعد على تحويل وزن الكملة إلى المخاطبة، فليست بشرى المؤمنين(١).

٢- تحويل دلالة الكلمة إلى المثنى، نحو: ﴿ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ ﴾ [الحشر:٢] فالتعسف في نبر (الراء) في (أخرج) ساعد على تحويل وزن الكلمة إلى المثنى(٢).

٣- تحويل دلالة الكلمة إلى الجمع نحو: ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [الأنعام: ١٤]، بسبب تعسف الضغط على الحرف السابق للأخير وهو (الطاء)، فليست فاطري السموات(٣).

ونحو: ﴿ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ٩] بسبب تعسف الضغط على الحرف السابق للأخير، وهو (الميم) يوهم بأن الكلام للجمع، فليست جامعوا الناس(٤).

٤- فصل الكلمة مثال ذلك: ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا ﴾ [يوسف:٢٣]، فالتعسف في نبر (الياء) ساعد على فصل الكلمة، فيقرأها «ألف، يا».

---

(١) تأمل الفرق الصوتي بين ما يلي: (أنتَ بشِّرِ المؤمنين، وأنتِ بشِّري المؤمنين) ستجد أن الصوت يرتفع مع وجود ياء المخاطبة في الحرف السابق للأخير وهو (الشين)، ولا يضبط ذلك إلا بالتلقي.

(٢) تأمل الفرق الصوتي لغة بين (هو أخرج الكتاب، وهما أخرجا الكتاب)، ستجد أن صوت (الراء) يرتفع مع المثنى، في حين لا يظهر ذلك مع الفعل (ذاق، وقالا، واستبقا) مثال: (هو ذاق الشجرة، وهما ذاقا الشجرة)، فلن تجد ذلك الفرق، لاختلاف أصول الكلمات.

(٣) ونحتاج ذلك الصوت مع كلمة (حاضري) في قوله: (حاضري المسجد الحرام) للحرف السابق للأخير وهو (الضاد)، ولا يظهر ذلك في قوله (غير محلي الصيد). لاختلاف أصول الكلمة.

(٤) ولا يظهر ذلك الفرق الصوتي في قوله (وأقيموا الصلاة) لاختلاف أصول الكلمة.

٥- وصل الكلمتين المفصولتين مثال ذلك: ﴿وَسَآءَ لَهُمْ﴾ [طه:١٠١] فالتعسف في نبر الحرف الأخير وهو (الهمزة) ساهم في دمْجِ الكلمتين، تقرأ لحنًا من المساءلة بدلًا من الإساءة.

٦- تشديد المخفف المتطرف عند الوقف عليه مثال ذلك: «القمر - مزدجر»، فالتعسف في نبر الميم في (القمر) والجيم في (مزدجر) ساعد على تشديد الراء، بسبب التباس النطق بين المخفف المتطرف والمشدد المتطرف، كالراء في قوله (مستمر)، (ومستقر) في نفس السورة.

وهذه اللحون لا علاقة لها بمخرج أو صفة، ولا ضابط لذلك إلا التلقي والمشافهة على القراء الحاذقين المهرة، وتدبر المعنى، والبعد عن التكلف، لاسيما أثناء التعليم، وتجنب تقليد في الأصوات، والحذر من القياس، خشية الوقوع في محذور لاختلاف أصول الكلمات كما وضحنا من أمثلة لا يظهر فيها أثر النبر[١].

ثانيًا- المبالغة في تحقيق الحروف:

(أ) المبالغة في تحقيق المخرج، ومن صور ذلك:

١- المبالغة في نطق (الضاد، أو اللام)، باعوجاج الفك بطريقة منفرة

٢- المبالغة في نطق (الراء) فيتولد عنها عدة راءات لاسيما المشددة.

٣- المبالغة في نطق (الهمزة) فيتولد بعدها (هاء) مثال (السماء).

٤- السكت على الساكن كما في اللام في (الحمد)، والميم في (أنعمت).

(ب) المبالغة في تحقيق الصفة، ومن صور ذلك:

١- المبالغة في تحقيق الهمس، مثال (يستهزئ).

---

(١) استمع إلى سلسلة «زاد المقرئين الصوتية»، وانظر «زاد المقرئين» (جـ١ ص [١٧٦]).

٢- المبالغة في تحقيق الرخاوة، مثال (السماء).

٣- المبالغة في تحقيق التوسط، مثال اللام (الذي).

٤- المبالغة في ترقيق الحرف، مثال (ماء)، أو تفخيمه، مثال (يغلبون).

وعلاج اللحن السابق هو تحقيق المخرج والصفة بدون إفراط ولا تفريط.

(جـ) المبالغة في تحقيق الحركات، ومن صور ذلك:

١- إشباع الفتحة ألفًا مثال «الصمد» تقرأ لحنًا: الصماد، والهمزة في «الحمد لله» تقرأ لحنًا ءالحمد.

٢- إشباع الكسرة (ياء) مثال: كسرة (الباء) في «بسم الله»، تقرأ لحنًا بسم.

وكسرة (الهاء) في لفظ الجلالة، «بسم الله الرحمن»، وكسرة الثاء في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ تقرأ لحنًا: المدثير وكسرة الكاف في «مالك يوم».

٣- إشباع الضمة واوًا، مثال الثاء في ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ تقرأ لحنًا التكاثور.

وعلاج ما سبق تحقيق الحركة بلا إفراط ولا تفريط من خلال التلقي.

ثالثًا- المبالغة في تحقيق أحكام التجويد، من صوره:

(أ) النون الساكنة، ومن صور ذلك:

١- المبالغة في نطق الإظهار الحلقي نحو: «سميعٌ عليم» تقرأ: سميعو عليم.

٢- المبالغة في نطق الإدغام نحو: «وجوه يومئذ» تقرأ لحنًا: وجوهو يومئذ.

٣- المبالغة في نطق الإقلاب نحو: «من بعد» تقرأ لحنًا: مين بعد.

٤- المبالغة في نطق الإخفاء الحقيقي «منصورا» تقرأ لحنًا: مانصورا.

(ب) الميم الساكنة:

١- المبالغة في نطق إدغام المثلين الصغير «لهم ما» تقرأ لحنًا: لهوم ما.

ونحو: «لكم ما» تقرأ لحنًا: لكوم ما.

٢-المبالغة في نطق الإخفاء الشفوي «هم به» تقرأ لحنًا: هوم به.

ونحو: «ربهم بهم» تقرأ لحنًا: ربهوم بهم.

(جـ) القلقلة:

١- المبالغة في إمالة القلقة المضموم ما قبلها «ادخلوا» تقرأ لحنًا: أودخلوا.

٢- المبالغة في إمالة القلقة المكسور ما قبلها «اقرأ» تقرأ لحنًا: إيقرأ.

(د) الإدغام:

١- المبالغة في نطق إدغام المثلين الصغير «مما» تقرأ لحنًا: ميمًا.

٢- المبالغة في نطق إدغام المتقاربين «نخلقكم» تقرأ لحنًا: نخلوقكم.

٣- المبالغة في نطق إدغام المتجانسين «اركب معنا» تقرأ لحنًا: اركامعنا.

٤- المبالغة في نطق إدغام المتجانسين «أحطت» تقرأ لحنًا: أحاطت.

والأمثلة في ذلك كثيره في جميع أبواب التجويد وسيأتي بمشيئة الله.

٥- فضيلة حسن الأداء

أجمع المحققون والحذاق من أهل الإقراء المسندين على ترك التسعف والتكلف والتنطع أثناء القراءة، وحثوا على حسن الأداء بتحسين الصوت بالقرآن، والتفاعل مع آيات القرآن الكريم.

قال الإمام ابن الجزري: وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بقوله: «**مَنْ أَحب أَنْ يقرأ القرآن غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيقرأ قِرَاءَةَ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ**»، يَعْنِي عَبْدَ الله بْنَ مَسْعُودٍ، وَكَانَ رضي الله عنه قَدْ أُعْطِيَ حَظًّا عَظِيمًا فِي تَجْوِيدِ الْقُرْآنِ وَتَحْقِيقِهِ وَتَرْتِيلِهِ كَمَا أَنْزَلَهُ الله تَعَالَى، وَنَاهِيكَ بِرَجُلٍ أَحب النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَسْمَعَ القرآن مِنْهُ وَلَمَّا قَرَأَ أَبْكَى رَسُولَ الله ﷺ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَرُوِّينَا بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ قَالَ: صَلَّى بِنَا ابْنُ مَسْعُودٍ الْمَغْرِبَ بِ «قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ»، وَوَالله لَوَدِدْتُ أَنَّهُ قَرَأَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ حُسْنِ صَوْتِهِ وَتَرْتِيلِهِ. اهـ(١).

تتلذذ الأسماع بها: قال الإمام ابن الجزري: وهذه سنة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فمن يقرأ القرآن مجودًا مصححًا كما أنزل تلتذ الأسماع بتلاوته، وتخشع القلوب عند قراءته، حتى يكاد أن يسلب العقول ويأخذ الألباب؛ سر من أسرار الله تعالى يودعه من يشاء من خلقه؛ ولقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن له حسن صوت ولا معرفة بالألحان إلا كان جيد الأداء؛ قيمًا باللفظ؛ فكان إذا قرأ أطرب المسامع؛ وأخذ من القلوب بالمجامع. اهـ(٢).

---

(١) «النشر» (جـ١ ص [٢٣٩]).

(٢) «النشر» (جـ١ ص [٢٣٩]).

قال الإمام ابن الجزري: بلغنا عن الأستاذ الإمام أبي محمد عبد الله بن علي البغدادي المعروف بسبط الخياط مؤلف المبهج وغيره في القراءات رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان قد أعطى من ذلك حظًا عظيمًا، وأنه أسلم جماعة من اليهود والنصارى من سماع قراءته، وآخر من علمناه بلغ النهاية في ذلك الشيخ بدر الدين محمد بن أحمد ابن بصخان شيخ الشام، والشيخ إبراهيم بن عبد الله الحكري شيخ الديار المصرية رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ[1].

(١) «النشر» (جـ١ ص [٢٣٩]).

obeikandl.com

٦- أهمية تحسين الصوت بالقرآن

قَالَ ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ**» (رواه البخاري [٧٥٢٧]). يَتَغَنَّ، يحسِّن صوته.

وقَالَ ﷺ: «**زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فإنَّ الصَّوتَ الحسنَ يزيدُ القرآنَ حُسنًا**» (صحيح أبي داود/ ١٣٢٠).

وعن جبير بن مطعم قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا أو قال: قراءة منه. وفي بعض ألفاظه: فلما سمعته قرأ: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور: ٣٥]، خلت أن فؤادي قد انصدع)
(رواه البخاري [٧٦٥]، ومسلم [٤٦٣])

وعن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك لقد أعطيتَ مِزْمارًا من مزامير آل داود**»، فقال: أمَا والله يا رسول الله لو علمتُ أنك تستمع لحَبّرته لحَبّرته (رواه البخاري [٩٢]، ومسلم [٧٩٣]) قال الزجاج: التحبير التحسين

قال العلامة ابن عثيمين: وفي هذا دليل على أن الإنسان لو حسن صوته بالقرآن لأجل أن يتلذذ السامع ويسر به فإن ذلك لا بأس به ولا يعد من الرياء بل هذا مما يدعو إلى الاستماع لكلام الله عَزَّوَجَلَّ حتى يسر الناس به(١).

قال العلامة ابن الجوزي: وفي هذا جواز تحسين الصوت وتجويد التلاوة لأجل انتفاع السامعين ولا يقال إن زيادة التجويد في ذلك رياء لأجل الخلق إذا كان المقصود اجتذاب نفعهم فأما الألحان التي يصنعها قراء هذا الزمان فمكروهة عند العلماء لأنها مأخوذة من طرائق الغناء(٢).

(١) «شرح رياض الصالحين» [٤٥٠].

(٢) «كشف المشكل» من حديث الصحيحين (١/ ٢٦٩).

٧- حكم التطريب والتغني

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد تنازع الناسُ في قراءةِ الألحانِ، منهم مَن كرهَها مطلقًا، بل حَرَّمها، ومنهم من رخَّصَ فيها، وأعدلُ الأقوالِ فيها أنها إن كانت موافقةً لقراءة السَّلفِ كانت مشروعةً، وإن كانت من البدع المذمومةِ نهي عنها. والسلفُ كانوا يُحَسِّنون القرآنَ بأصواتِهم من غيرِ أن يتكلفوا أوزانَ الغِناء. اهـ(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما ما أُحدِثَ بعدَهم من تكلُّفِ القراءةِ على ألحانِ الغناءِ فهذا يُنْهَى عنه عند جمهور العلماء، لأنَّهُ بدعةٌ، ولأنَّ ذلك فيه تشبيه القرآن بالغناء، ولأن ذلك يُورِثُ أن يَبقَى قلبُ القارئ مصروفًا إلى وزنِ اللفظ بميزان الغناءِ، لا يَتدبَّرهُ ولا يَعقِله، وأن يَبقَى المستمعون يُصغُون إليه لأجل الصوت الملحَّن، كما يُصْغَى إلى الغناء، لا لأجلِ استماعِ القرآن وفهمِه وتدبُّرِه والانتفاع به. اهـ(٢).

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفصل النزاع، أن يقال: التطريب والتغنِّي على وجهين.

أحدهما: ما اقتضته الطبيعة، وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين ولا تعليم، بل إذا خُلّي وطبعه، واسترسلت طبيعته، جاءت بذلك التطريب والتلحين، فذلك جائز، وإن أعان طبيعتَه بفضلِ تزيين وتحسين، كما قال أبو موسى الأشعري للنبي ﷺ: «لَو علمتُ أنّكَ تَسمَع لَحَبَّرْتُه لَكَ تحبيرًا» والحزين ومَن هاجه الطرب، والحبُّ والشوق لا يملك من نفسه دفعَ التحزين والتطريب في القراءة، ولكن النفوسَ تقبلُه وتستحليه لموافقته الطبع، وعدم التكلف والتصنع فيه، فهو مطبوع لا متطبِّع، وكَلفٌ لا متكلِّف، فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويستمعونه، وهو التغني الممدوح المحمود، وهو الذي يتأثر به التالي والسامعُ، وعلى هذا الوجه تُحمل أدلة أرباب هذا القول كلها.

---

(١) «جامع المسائل» لابن تيمية (٣/ ٣٠٣).

(٢) نفس المصدر السابق (٣/ ٣٠٥).

الوجه الثاني: ما كان من ذلك صناعةً من الصنائع، وليس في الطبع السماحة به، بل لا يحصُل إلا بتكلُّف وتصنُّع وتمرُّن، كما يتعلم أصوات الغِناء بأنواع الألحان البسيطة، والمركبة على إيقاعات مخصوصة، وأوزانٍ مخترعة، لا تحصل إلا بالتعلُم والتكلف، فهذه هي التي كرهها السلفُ، وعابوها، وذمّوها، ومنعوا القراءةَ بها، وأنكروا على من قرأ بها، وأدلة أرباب هذا القول إنما تتناول هذا الوجه، وبهذا التفصيل يزول الاشتباهُ، ويتبين الصوابُ من غيره، وكلُّ من له علم بأحوال السلف، يعلم قطعًا أنهم بُرآء من القراءة بألحان الموسيقى المتكلفة، التي هي إيقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة، وأنهم أتقى لله من أن يقرؤوا بها، ويُسوّغوها، ويعلم قطعًا أنهم كانوا يقرؤون بالتحزين والتطريب، ويحسِّنون أصواتَهم بالقرآن، ويقرؤونه بِشجىً تارة، وبِطَربٍ تارة، وبِشوْق تارة، وهذا أمر مركوز في الطباع تقاضيه، ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطباع له، بل أرشد إليه وندب إليه، وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به، وقال: «**لَيْسَ مِنَّا مَن لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقرآنِ**».

وفيه وجهان:

أحدهما: أنه إخبار بالواقع الذي كلُّنا نفعله

والثاني: أنه نفي لهدي من لم يفعله عن هديه وطريقته ﷺ (١).

(١) «زاد المعاد» (١/ ٤٩٨).